دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

غاية الحياة المسيحية

الأب متى المسكين

coptic-books.blogspot.com

كتاب: غاية الحياة المسيحية
المؤلف: الأب متى المسكين
الطبعة الأولى: ١٩٨٤
الطبعة الثانية: ٢٠٠٥
مطبعة دير القديس أنبا مقار - وادي النطرون
ص ب ٢٧٨٠ القاهرة.

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ١١٦٩٢ / ٢٠٠٥
رقم الإيداع الدولي: 977-240-235-1

تُطلب من:

دار مجلة مرقس

القاهرة: ٢٨ شارع شبرا - تليفون ٥٧٧٠٦١٤
الإسكندرية: ٨ شارع جرين - محرم بك - تليفون ٤٩٥٢٧٤٠
أو عن طريق موقع الدير على الإنترنت:
www.stmacariusmonastery.org

غاية الحياة المسيحية

✧✧✧

نوعان من الحياة في خلقة الإنسان:

منذ خلق الله الإنسان، والإنسان يحيا نوعين من الحياة:

حياة خاصة في نفسه نسميها حياة التفرُّد، وهي التي يخلد فيها إلى نفسه، ويتحدث مع خالقه، منجذباً إلى الله انجذاباً طوعياً؛

وحياة عامة تجاه الآخرين، وهي التي فيها يتعامل مع الناس بكل صنوفهم، من أصدقاء وأعداء، أهلٍ وخصوم، أسرة وكنيسة، وكلٍّ أفراد المجتمع الذي يأخذ منه ويعطيه.

والذي نلاحظه أن عناصر كل نوع من الحياتين ليست عواملَ مضافةً إلى خلقته، ولكنها كوامن هذه الخلقة وصفاتها الغريزية المنغرسة فيها.

الحياة الأولى: الخلود إلى النفس والحديث مع الله (حياة التفرُّد):

فالإنسان في خلوده إلى نفسه وفي حديثه مع الله في حياته الخاصة، لا يأتي ذلك افتعالاً أو تغصُّباً، إنما انجذاباً بدافع صلة أساسية تشدُّ النفس إلى مصدر وجودها وخلقتها. لأن الإنسان، حقًّا، مخلوق على صورة الله، والصورة تنزع نحو أصلها، وهي في نزوعها الدائم المكبوت نحو الله تحاول أن تتغير لتصير بحسب خالقها، بنداءٍ خفي يدعوها إلى ما هو أفضل دائماً ويحاسبها على ما هو أردأ؛ وهذا يكوِّن هدفاً أصيلاً للنفس، تسعد به مهما

كان إخفاقها في تحقيق الكمال منه، وتبتئس عند البعد عنه أو عند تجاوُزه وإهماله بؤساً مريعاً، قد تحسه النفس وتعرف سببه، وقد تعيشه دون أن تعرف سببه ومصدره. فالله مصدر سعادة حقيقية للنفس ولكنه مصدرٌ غير مُعلَن إعلاناً خارجياً؛ تحسه النفس ولكن لا تستطيع أن تفصح عنه، بل وقد تتأثر به وهي لا تزال تجهله.

إذن، فالحياة الخاصة، أي حياة التفرُّد والخلود إلى السكون الداخلي والاقتراب من الله، هي هدف أصيل من أهداف الحياة بل ومن أهداف خلقة الإنسان ذاتها، لكي يعيش مع الله ويحيا معه الحياة الأبدية.

فغاية خلقة الإنسان أن يعيش مع الله، وهذه قد ابتدأ بها بالفعل. فآدم أولاً ـ ثم آدم وحواء بعدئذ ـ كان يعيش مع الله ويحيا في حضرته، يستمع إليه ويطيعه وينفذ أوامره. وهو وإن كان قد فقد هذه الحياة، إلا أنها باقية في صميم خلقته، لأنه فقدها زمنياً ولكن لم يفقدها من كيانه.

ونحن لو درسنا الكتاب المقدس على ضوء هذه الحقيقة لوجدنا أن جميع حوادثه ووصاياه وتعاليمه في تدرُّجها وامتدادها منذ أول معاملة مع الله تنصبُّ كلها في كيف يعيش الإنسان مع الله: «سِرْ أمامي وكن كاملاً» (تك ١٧:١)، «يا ابني أعطني قلبك، ولْتُلاحظ عيناك طرقي» (أم ٢٣:٢٦). ولكن لما أُعيي الإنسان وأخفق تماماً في أن يلتزم بالحياة مع الله، جاء المسيح ليرفع كل العوائق والحوائل التي تحول دون ذلك، وقدَّم نفسه وسيطاً بين الناس والله ـ عَبْرَ دمه ـ بل عَبْرَ شخصه أيضاً، فأعاد إلى الإنسان هدفه الأسمى هذا، مؤمِّناً عليه بعهد دم ـ أي هدف الحياة الأبدية مع الله كغاية عظمى للحياة. ثم صار لنا الروح القدس كمعلِّم ومربي، لو أطعناه.

قدرات الحياة مع الله موجودة في صميم خلقة الإنسان:

ولكن طبيعة الحياة مع الله خاصة جدًّا؛ ومنهج السلوك في حضرته ذو سمات معينة؛ والحواس المنوط بها سماع صوته والانتباه إلى تحذيراته ورؤية أعماله وتصرفاته دقيقة جدًّا وخاصة جدًّا. وبالاختصار، فإن طريق الله يحتاج إلى حساسية وشفافية معينة، ليست أبداً كالتي نسلك بها في الحياة الدنيا.

كلُّ هذه الخصوصيات وهذه النوعية المعينة من القدرات موجودة بذورها كامنة في الإنسان، فهي ليست غريبة كلياً عن طبيعة الإنسان التي خلقها (الله) أصلاً لتسمع له وتستجيب وتحيا في حضرته وتنعم بتنعماته، ولكن الفرق بين الحواس الأرضية وتلك الروحية شاسع للغاية.

ولكي أصوِّرها لكم تصويراً حسياً أعود إلى تجربة خروج الإنسان من دائرة الجاذبية الأرضية وانتقاله إلى حياة الفضاء المسماة الحياة في "اللاوزن"، حيث يزن جسم الإنسان في الفضاء صفراً من الجرامات. هذه النوعية الغريبة من الحياة ينتقل إليها الإنسان بعد اختبار معين ثم تداريب مضنية وشاقة للغاية وعديدة في أنواعها ليستطيع أن يتكيَّف للحياة الجديدة.

هكذا تماماً يكون الانتقال والتغيير من الحياة الجسدية الحسية ذات اللهو والمرح، والامتزاج بالمادة والتعلُّق بها، وتعاطف الإنسان وحواسه بمسراته الأرضية الخاصة وتعلُّقه بأهله وصحبه تعلُّقاً يفوق أحياناً حد المعقول، ثم انفعاله بالغضب والحقد والعداوة والضراوة والشراسة والقسوة تجاه معارضيه أو أعدائه وخصومه الأشداء، إلى حياة الروح والسكون والخلود إلى الله استماعاً وحديثاً وتعاطفاً وحباً وعشقاً، والاستجابة لصوته بسماع

خاص ووعي خاص. وباختصار، يتحتم على الإنسان الذي اختار الحياة مع الله أن يتوافق في النهاية توافقاً تاماً مع هذه الحياة أخذاً وعطاءً.

هذه القدرات للحياة مع الله هي الحواس الروحانية الداخلية:

هذا يسميه الروحيون وكل من اشتغلوا بالروح واشتغلوا بحب المسيح وانحازوا للحياة الأبدية وفضَّلوها على الحياة الحاضرة وغلَّبوها عليها طوعاً واختياراً، يسمُّونه "انفتاحاً على الله" أي انفتاح الحواس جميعاً وما هو فوق الحواس فتتكون لديهم حواس أخرى جديدة يتكلم عنها المسيح صراحة بقوله: «من له أذنان للسمع، فليسمع.» (مر ٤:٨)

فبالرغم من أن لكل الناس آذاناً يسمعون بها، **ولكن المسيح هنا يتطلب آذاناً تسمع صوته السري** الداعي للحياة الأبدية. وفي موضع آخر **ينعي أشد النعي على الذين فقدوا حسَّ السمع والنظر والفهم الروحي واكتفوا بالحواس الأرضية التي تعيش بها المخلوقات الأخرى غير الإنسان:** «مُبصرين لا يبصرون، وسامعين لا يسمعون ولا يفهمون» (مت ١٣:١٣). هنا واضح أشد الوضوح أن المسيح يقصد نظراً داخلياً، وسمعاً داخلياً، وفهماً داخلياً، لدعوة الله القلبية التي ينادي بها **كلَّ إنسان نداءً خاصاً به وحده.**

هذه هي **الحواس الداخلية الروحانية** المعدَّة لفهم وإدراك معاملات الحياة الأبدية وهي التي تؤدي إلى تغيير جذري في الحياة الأرضية لحساب ملكوت الله، يشير إليها المسيح إشارة اللوم والإنذار بالحرمان من هدف الإنسان الأعظم في الحياة بقوله:

+ «قلب هذا الشعب قد غلظ، وآذانهم قد ثقل سماعها، وغمضوا

عيونهم لئلا يبصروا بعيونهم، ويسمعوا بآذانهم، ويفهموا بقلوبهم، ويرجعوا فأشفيهم» (مت ١٣:١٥).

إن حديث المسيح هنا يكشف عن تعمُّد من طرف الإنسان في سدِّ المنافذ الروحية الموصلة لصوت الله إلى قلب الإنسان وتجاهلها والسلوك تجاهها سلوك العناد والمقاومة والإنكار والشك والرفض والاستهانة؛ كما يُفهم من كلام المسيح ضمناً كيف يصرُّ الله ويُلحُّ على الإنسان ليبلِّغه صوته، لا بحاسة واحدة فقط ولا بطريقة واحدة فقط، ولكن بحواس وطرق شتى من خلال القلب الروحي والأذن الروحية والعين الروحية، وهذه كلها تشير إلى تعدد الطرق والحواس التي هيَّأها الله للإنسان، **كلِّ إنسان،** ليسمع صوته الخاص ويستجيب لدعوته الخاصة جدًّا للحياة معه، ليخضع ويتوب ويتغير ويعود ويحيا.

والحديث هنا كله منصبٌّ على كلمات ومناظر ورؤى تختص بحياة أخرى تماماً غير تلك التي يحياها الإنسان، تتدرب عليها الحواس وتتمرن على أسرارها وعلى متطلباتها، وهي تأتي قليلاً قليلاً في نموها وتدرُّجها كنمو حياة الإنسان في قاماته الجسدية، ولكنها وفي كل مراحلها تأتي يقينية لا يمكن للنفس أن تتغافل عنها إلا بعمى متعمَّد ومقاومة واعية.

حياة التفرُّد الروحي هذه هي للجميع بلا استثناء:

فيلزم هنا التنبيه بشدة أن التكلم عن حياة التفرد أو الحياة الخاصة أو الحياة الداخلية مع الله وحده لا يُقصد بها حياة العزوبية أو الانعزال الفردي. فحياة التفرُّد الروحي والخلود إلى النفس مع الله قائمة في الإنسان، كلِّ إنسان؛ ولازمة للإنسان، كلِّ إنسان؛ وهي هدف أعظم للإنسان، مهما كان، سواء كان أعزبَ أو متزوجاً أو راهباً أو متوحداً أو ناسكاً.

coptic-books.blogspot.com

الحياة الثانية: حياة التعاون مع الآخرين [لا تتنافى مع الحياة الأولى]:

والله نفسه لم يُقْصِر حياة التفرد الروحي على وضع الفرد الطبيعي بل تجاوز هذا التفرد تجاوزاً واضحاً صحيحاً، حينما قال: «ليس جيداً أن يكون آدم (الإنسان) وحده، فأصنع له معيناً نظيره» (تك ٢: ١٨)، أي أن الغاية الروحية للإنسان تتجاوز الغاية الطبيعية الجسدية له.

والهدف الطبيعي للحياة الإنسانية، وهو التعاون بكل صوره سواء في إنجاب النسل أو جهاد العمل أو احتمال المشقات أو كشف الغوامض أو مجابهة المخاطر، هذا الهدف الطبيعي للحياة الإنسانية لا يقف حائلاً ولا عائقاً لاقتناص الفرص والأوقات لحياة التفرد الروحي والخلود إلى الله باعتبار أن هذا هو الهدف الأعظم والأهم والأبقى.

ويُلاحظ أن حياة التعاون لم تأتِ في خلقة الإنسان إلا تاليةً لحياة التفرُّد. وحينما أوردها الكتاب لم يوردها لتنفي حياة التفرد الروحي، لهذا لم تأتِ بصورة النفي القاطع المطلق بل بالنفي المخفف «ليس جيداً» (تك ٢: ١٨). وبعبارة أخرى نقول إن الفرد له غاية روحية أعظم في حياته الفردية الخاصة مع الله، وهي تأتي حتمية وضرورية، ضرورة الحياة نفسها، ودعامة أولى للخليقة ليعيش الإنسان أولاً وأخيراً مع الله. أما حياة التعاون فهي تأتي لإخصاب الحياة الأرضية وتسهيل مهمتها، فالأولى أبدية والثانية زمنية.

هذه الحياة الثانية (علاقة الإنسان بالآخرين) لها هدف وغاية روحية:

ولكن من الأمور الهامة جدًّا والتي من أجلها أيضاً كُتِبت هذه المقالة، توضيح **أن الحياة الجماعية للإنسان، أي علاقة الإنسان بالآخرين، لها**

هدف ولها غاية روحية أيضاً لا تقل بأي حال من الأحوال عن الغاية والهدف الروحي الذي يعيش له الإنسان في حياته التفرُّدية الخاصة مع الله!!

فإن كانت حياة التفرُّد التي يخلو فيها الإنسان مع نفسه ومع الله هي توطئةً ومدخلاً للحياة الأبدية التي سيعيش فيها الإنسان مع الله، وغيابها أو إهمالها أو فقدانها يعني فقدان الحياة الأبدية؛ فالحياة الروحية التي يتعامل بها الإنسان مع الجماعة أو علاقة الإنسان الروحية بالآخرين هي **تجسيد لملكوت الله في صميم الزمن وعلى الأرض**، وإهمالُها أو التغاضي عنها أو رفضُها هو بمثابة تعطيل لاستعلان ملكوت الله، ومقاومةٍ علنية واعية لتكميل مشورة الله من أجل استعلان حكمته لصالح الإنسان، هذا الملكوت الذي من أجله نصرخ كل يوم وفي كل صلاة: «ليأتِ ملكوتك. لتكن مشيئتك، كما في السماء كذلك على الأرض.» (مت ٦: ١٠)

الارتباط بين الحياتين (الحياة الخاصة والحياة العامة):

وواضح أن علاقة الهدف الأول في الحياة المسيحية وهو الاستعداد للحياة الأبدية مع الله، مع الهدف الثاني في الحياة المسيحية وهو تكميل مشورة الله وتجسيد ملكوته واستعلان حُكْمِه، هي علاقة صميمية. فالقِيَم الروحية العليا التي يكتسبها الفرد من تفتُّح وعيه الروحي في علاقته الخاصة بالله يكملها ويوظفها ويحققها عملياً في علاقته بالآخرين.

فعلى سبيل المثال، إذا كنا قد اكتسبنا في علاقتنا الفردية الخاصة بالله حاسة الحب الخالص وذُقنا بالفعل جوهر هذه الصفة الإلهية الفعالة التي تخرج بالذات عن اتزانها وحتى كيانها حين يصبح الحب الإلهي إحدى المعطيات الغلاَّبة، فإن النفس في تعاملها مع الآخرين توظِّف هذه الحاسة،

coptic-books.blogspot.com

لا طوعاً فحسب، بل انغلاباً، فتحبَّ دون أن تميز كثيراً في حبها، إذ تحب فوق المعقول حباً لا يمتُّ لواقع هذا العالم ولا لاستحقاق المحبوب، بل قد تحب حتى الخصوم، لأنها تحب دون أن تنظر إلى مقابل، فتحب بلا تحفظ وبسخاء، وربما تفرِّط حتى في الذات نفسها. فالحب المكتسب من الله يخترق كل المعوقات. حتى العداوة نفسها يخترقها بسهولة ودون مجهود يُذكر، إذ تكون الذات طوع الله، سريعة التحرك، حسب نص الآية: «أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلُّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم» (مت ٥:٤٣)، إذ يشعر الإنسان أن تيار الآية يسري داخل قلبه وعقله وجسمه كفعل النار، تستجيب له النفس عن فرح ورضى حتى "الجنون" كما قد يتراءى للناس أنه "جنون".

هو الحب الإلهي، يتغلغل الحياتين، ويكمل الهدفين ويكمل خطة الخليقة والخلاص:

هنا جوهر الحب الإلهي، الذي سَرَى في النفس وملأها بالشبع والفرح، قد أنشأ في الإنسان عملين روحيين أكملا هدفين روحيين أساسيين: الأول يختص بحياته هو مع الله، والثاني يختص بملكوت الله.

وهكذا، فإن الحياة الروحية الأولى، أي الحياة الخاصة الفردية مع الله، أنشأت حياة عملية روحية صحيحة مع الناس. وهكذا، فالصفات الروحية الخاصة والداخلية للفرد أكملت صفات روحية أخرى خاصة بالآخرين، وبدون عناء، لأن جوهر الفعلين والصفتين واحد.

وإذ نعود على ذي بدءٍ، نقول إن للإنسان هدفاً روحياً أسمى في حياته، هو **الحياة مع الله**، يبدأ **فردياً** خاصاً يختص بكل فرد في ذاته ينشيء فيه حياة

داخلية خاصة ذات سمات روحية خاصة لحياته الأبدية الخاصة؛ وينتهي حتماً **بعمل أو بأعمال ظاهرية** تكون تجاه الآخرين هي بحدِّ ذاتها هدف آخر في الحياة يختص بالله نفسه، إذ يعمل على تحقيق ملكوته في الزمن وعلى الأرض. ومن الهدف الأول والهدف الثاني تكمل حياة الإنسان؛ ويكمل عمل الله؛ وتكمل خطة الخليقة والخلاص.

يستحيل الحياة بأحد الهدفين دون الآخر:

والإنسان الروحي لا يمكن أن يحيا بهدف واحد من هذين الهدفين دون الآخر. إذ يستحيل عليه أن يقتنص في تأملاته وصلواته وخلواته صفات جوهرية كالحب والرحمة وخشية الله، مع لطف وإيناسٍ وفرحِ الروح، وعمقِ الرؤيا، ودقة السمع في توجيهات الله؛ ثم يطيق بعد ذلك أن يعيش محصوراً في ذاته أسيراً لأنانيته عازفاً عن أنين الآخرين، غير متعاطف، غير مسامح، بليدَ الحسِّ تجاه المتألمين، كفيف البصر تجاه المحتاجين، أو يعجز عن أن يواجه الشدة باللطف أو يخفق في أن يحتوي العداوة بالحب. فالصفات الأولى هي صفات الحياة مع الله، وصفات الحياة مع الله هي هي تحقيقٌ فعلي لوصايا ملكوته وإعلانٌ عن حكمه وحكمته.

فإنسان الروح يوظِّف صفات الروح لخدمة الروح تجاه الآخرين. وسيَّانٌ هذا الآخر أيًّا من كان، صديقاً أو عدواً، لأن الحبَّ المكتَسَبَ من الله لا غرض له ولا مقابلَ، ولا عائقَ يعوقه عن أن ينفذ فعله بالكامل، ولا مشجِّعَ يستزيده ويستعطفه. فالحب الإلهي مِلْكٌ لكل من احتاج إليه، والعدو والغضوب والقاسي والجاحد والخائن والشرير هم أحوج الناس إلى الدفء به.



واقعنا الروحي من خلال الهدفين:

هذا كلام حلو، أيها الأحباء، ولكن الواقع مرٌّ كالعلقم والأفسنتين، لأن معظمنا لا يعيش لا للهدف الأول ولا للهدف الثاني، ويكاد يستثني نفسه من كل ما قيل؛ فقد انعدمت الآذان التي تسمع، والعيون التي تبصر، والقلوب التي تفهم، وغلظ العقل - حسب قول المسيح (مت ١٣:١٣)، وصارت كل الحواس تخدم بهمة ونشاط ومهارة أعواز هذا الدهر ومشاغل الجسد ومسرات النفس، ولا تعي إن كان للروح حقًّا حواس أو أن لله حقًّا كلاماً، وحتى وإن اعترفت بوجودها وحتى وإن علَّمَتْ ووعظت بمثل هذا فلا هي حقًّا تسمع ولا هي حقًّا تعمل.

فمعظمنا يعيش نهاره كيفما اتفق، وإذا جاء الليل فهو راحة من العمل، وكفى، نقضيه كيفما اتفق وكيفما تفرضه الظروف أو نفرضها، ولم يَعُدْ للحياة الأبدية لا مكانٌ ولا زمان، لا بالنهار ولا بالليل، أما الخلود إلى النفس فهو مَكْرَهة للنفس، تهرب منه لأنه يفضح حالها؛ وأما الاستماع إلى الله ففيه استحالة، لأن الأذن تليَّف عصبُها الروحي فلم تعُد تسمع إلا صفير الدنيا وهمومها أو مسراتها. الأحداث تحركنا ونحن لا نحرك لها ساكناً، وأخلاقنا التي ورثناها من الناس هي التي نعامل بها الناس. أما وصايا الله فلا تتعدى اللسان، نتكلم عنها ولا نعمل بها. وهكذا غابت عنا أصول الحياة الأبدية؛ وتُهنا نحن بإرادتنا عن ملكوت الله.

أين نحن من مسيرة الروحيين وأهداف الحياة المثلى؟ أين ومتى ضاعت منا النظرة إلى الله وملكوته التي كان ينبغي من أجلها أن نعيش ونشقى ونسعد معاً؟ ولكن مهما تصوَّرنا أننا ضيَّعنا أهداف الحياة الروحية أو مهما توهمنا أنها ضاعت منا فعبثاً نحاول أن نغش أنفسنا أو الله؛ **فهي قائمة في**

لحمنا وعظامنا تنخر في ضمائرنا، فجبلتنا جُبلت لتحيا مع الله وتتحدث إليه، ونحن وُلدنا من الله لنصنع مشيئته! ولا مفرَّ من أن نواجه أعماقنا قبل أن تواجهنا لنعطي عنها الحساب، حساب الخسارة؛ ونحن مسئولون عن ملكوت الله لأن هذا سمَّاه الكتاب: «**حساب الوكالة**» (لو ١٦:٢)، لأننا محمَّلون بمواهب وعطايا هذا عددها وهي كامنة في كياننا، ولكن لم نتاجر بها بل ولم نتعرف عليها. وكلُّ يوم يمر علينا دون أن نصنع خيراً ونكمل وصيةً ما، حُسب علينا يوماً ضائعاً، وحُسبنا فيه معوَّقين أردياءَ لاستعلان ملكوت الله.

مرة أخرى أعيد عليكم القول لعلكم تستيقظون:

كلُّ إنسان في المسيح قَبِلَ الرب فادياً ومخلِّصاً، قد حُسب من بني الملكوت! ونالَ التبني! مهما كانت قامته ومهما كانت ظروفه؛ وقد فُرض عليه هدفان فرضاً لأنهما كائنان في صميم خلقته، وهما متهيئان للعمل بضمان عمل دم المسيح وحراسة الروح القدس، وهما متهيئان للعمل ليل نهار في كل ساعة وكل خطوة وكل كلمة، لو أطعنا الروح:

الهدف الأول:

أن يعيش الإنسان مع الله كل يوم وكل ساعة. وهو مدعوٌّ إلى ذلك رسمياً، ومقيَّدٌ اسمه في وليمة المدعوين للاقتراب من الرب وسماع كلمة من فيهِ، إنما بأذن جديدة وعين جديدة وقلب جديد وفهم جديد. إنه مدعوٌّ أن يكون من خاصته - إذا لم يرفض هو ذلك - سواء في لحظات الهدوء والسكون الداخلي أو حتى وفي وسط ضجيج العمل، هو مدعوٌّ إلى ذلك.

فهو مدعوٌّ، بالدرجة الأولى، حينما يعود إلى مخدعه، أن يباشر حديثه

السرِّي مع الحبيب وليس من رقيب، وهذه أوقات هنيَّة تنفتح فيها حواسه الداخلية ليرى ويسمع ويدرك أمور الحياة الجديدة مع الله، شيئاً لم يكن يسمعه ولا يراه ولا يفهمه من قبل؛ فيتحرك ضميره، ويتغيَّر فكره، وتتجدد إرادته، وتتشجع مسيرته، وتبتهج سيرته.

هي لحظات يتعلم فيها كيف يتغير كل يوم بل كل ساعة وفي كل مناسبة، ليكون حسب قلب الله ومشيئته، فيُحسب آنئذ مواطناً سماوياً صالحاً ووريثاً مع المسيح لله، يأخذ منه دالة البنين التي بها يتحدث إلى الله بضمير ليس عليه خطية حتى ولو كان فيه خطية. فالاعتراف لدى الرب وفعل الدم ضمينان لذلك بشهادة يوحنا الرسول: «إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم... ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية» (١يو ١:٩و٧)؛ حيث يعلِّمه الروح القدس طريق الطهارة والبر وفرحة القداسة والتقوى، وحيث يخلِّص جسده من تسلُّط إبليس ويفكُّه من رُبُط الديون القديمة المتراكمة.

الهدف الثاني:

وهو أيضاً في صميم كيانه، كامنٌ في جوهر خليقته الجديدة، منبثٌّ في موروثات خلايا عقله وجسده ونفحات روحه وحركة ضميره، شاء ذلك أو أبى، وهو أن يكون عاملاً شاهداً لملكوت ربنا كابن استؤمن على وكالة أبيه، يعلن الوصية التي اقتبلها بروحه ويردد الصوت الذي سمعته أُذناه ووعاه قلبه وروحه، يعلنه ويردده لدى كل إنسان: عملاً لا قولاً، وفعلاً لا وعظاً.

أي أن الهدف الثاني الذي فُرض عليه، أو بالحري وُهب إياه، هو أن يجسِّد ملكوت الله ويعمل على تكميله واستعلانه لدى كل إنسان بلا مانع،

وذلك بأن يحبَّ، ويحبَّ من كل القلب، حباً كالحب الذي أحبنا به ربنا يسوع المسيح وقدم فيه حياته من أجل الخطاة.

يحب دون أن ينظر إلى من يحب بل من أجل ماذا يحب.

يحب دون أن يعتبر أية معوقات لحبه، سواء كانت تلك المعوقات اسماً أو ديناً أو عقيدة أو عداوة مصطنعة من العدو.

يحب ليكمل الوصية، ليبني ملكوت ربنا ويعلن عن تحقيقه في ملء الزمن وعلى الأرض، ويمارس علي مستوى الروح كل الوصايا من لطف وأحشاء رحمة وتودد وصفح بلا تحفظ وبذل حتى تقديم الذات للموت، ليس لكي يُمتدح، بل لكي يمجد الله ويشهد لصلاحه.

فتكميل ملكوت الله موكول إليك وعليك، والشهادة لوجود الله وصلاحه وُضعت على عنقك لتعلن عنها وتشهد لها في وقت الضيق قبل الفرج؛ بل وفي محنة الظلم وأتون العداوة والبغضة، فإنه يلزم أن تعلو المحبة كراية خفَّاقة لملكوت الله.

وأعود وأكرر في الختام:

إننا لسنا أحراراً أبداً في أن نختار هذه الأهداف أو أن نستعفي عنها، بل هي أمانة حياة استلمناها في صميم خلقتنا، وهي كائنة كامنة في كياننا، متهيئة للعمل في كل لحظة بمعونات تفوق العقل والتصوُّر؛ وسوف نحاسَب عليها، ليس في نهاية الدهر وحسب، بل ومنذ الآن وفي كل أوان، لأن أي استعفاء من تتميمها والعمل بها يضعنا في الحال في موقف معاكس لمشيئة الله، مقاومٍ لتيار مسار الروح القدس المنبثِّ في خلقتنا، فنوجَدَ وكأننا صرنا أعداءً لأنفسنا، أعداءً لحياتنا، فتثقلَ علينا الحياة جدًّا دون أن ندري أننا

coptic-books.blogspot.com

السبب في هذا التثقيل والمقاومة والاحتكاك، إذ نصبح ضد تيار الحياة لا معه، فتضيع منا قيمة الحياة؛ بل ويضيع أثمن ما فيها أي أن نكون مع الله وأن نشهد لله ــ بل وتضيع منا بذلك الحياة نفسها، إذ نفرِّغها من جوهرها ونبترها عن هدفيها، فلا تعود مثل هذه الحياة تُفهم ولا تعود ــ بالتالي ــ تُطاق.





غاية الحياة المسيحية

نوعان من الحياة في خلقة الإنسان:

منذ خلق الله الإنسان، والإنسان يحيا نوعين من الحياة:

حياة خاصة في نفسه نسميها حياة التفرُّد، وهي التي يخلد فيها إلى نفسه يتحدث مع خالقه، منجذبا إلى الله انجذاباً طوعيا؛

وحياة عامة تجاه الآخرين، وهي التي فيها يتعامل مع الناس بكل صنوفهم، من أصدقاء وأعداء، أهل وخصوم، أسرة وكنيسة، وكلّ أفراد المجتمع الذي يأخذ منه ويعطيه.

والذي نلاحظه أن عناصر كل نوع من الحياتين ليست عواملَ مضافة إلى خلقته، ولكنها كوامن هذه الخلقة وصفاتها الغريزية المنغرسة فيها.

فما هي غاية خلقة الله للإنسان؟

وبالتالي ما هي غاية الحياة المسيحية؟

هذا المقال يوضح لك هذا...

الثمن ٥٠ قرش